الفصل الثانى
الروح والنفس والجسد

مقدمة :

في اللغة الدارجة نخلط دائما بين النفس و الروح، من الغريب أن يحدث خلط بين الروح والنفس، مع كل الأيضاح فى كل الأديان السماوية. فكمال اللطائف من عند الله فلا يحدث لها أى سمو أو تطور وإنما هى أسمى الكمال فهى من عند الخالق. كما أن الأديان السماوية لم تذكر إلا النفس التى تحيا فى حلة الإنسان الفانية لتكتسب فى الله وترتقى لإعلى درجات السمو فهى إما تكون أمارة بالسوء أو اللوامة أو مطمئنة أو راضية مرضية لتكون ضمن عباد الله. أما الجسد فهو الحلة الفانية فالجسد من وإلى التراب. فالتي تخرج من بدن الميت عند الحشرجة و الموت هي نفسه و ليست روحه، و التي تذوق الموت هي النفس و ليس الروح.

فلسفة الروح والنفس

الروح عبارة عن مصطلح ذو طابع ديني وفلسفي يختلف تعريفه وتحديد ماهيته في الأديان والفلسفات المختلفة، ولكن هناك إجماع على أن الروح عبارة عن ذات قائمة بنفسها، ذات طبيعة معنوية غير ملموسة. ويعتبرها البعض مادة أثيرية أصلية من الخصائص الفريدة للكائنات الحية. كلمة الروح العربية قريبة جدا من كلمة ريح مما جعل البعض يعتقد أن مصدر ومعنى كلمة الروح هي "ذَات لَطِيفَة كَالْهَوَاءِ سَارِيَة فِي الْجَسَد كَسَرَيَانِ الْمَاء فِي عُرُوق الشَّجَر".

ويقال إن حقيقة الروح وماهيتها أنها جوهر نوراني غير قابل للتقدير أو الوزن أو الحصر الخاص بالمادة لطيفها وكثيفها، منافية لجميع ما هو معلوم، عاقلة عالمة بذاتها وبربها علماً ذاتياً بكليتها لانطباع جميع محيطاتها من عالمها فيها انطباعاً تقابلياً بالذات؛ إذ هي وحدة لا تتجزأ فينطوي فيها كل ما حولها انطواء الصور بالمرآة على أقرب تشبيه. ترى وتسمع وتذوق وتلمس بذاتها لا بحواس متفرعة كما للجسم، فتعلم بمقدار قوة إمدادها من أصل منزعها من النور

الأول الصادر من الأمر الإلهي، وأسبقيتها في الرتبة والصفاء؛ إذ لكل روح قوة علمية ونورية تختلف عن الأخرى وتتميز في الشكل النوراني واللَمْحَةَ للتباين والتعارف كما جاء في حديث عالم الذر "الأرواح جنود مجندة ما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف"، وهذه اللمحة والشبه التي تظهر في ملامح الوجه البشري عند التخليق في الرحم قال تعالى: (هو الذي يصوركم في الأرحام كيف يشاء)، وأن الجسم ينشأ على منوال تشجع الروح ذرة ذرة، وأن اختلاف قوة النور ومقداره هو العامل لمواهب الشخص في هذه الدنيا من قوة وضعف في المعلومات والمعارف، إذ لكل روح طاقة، كما للجسم كلٌ بماهيته وإلا تساوت المعلومات وهذا محال في الإبداع الإلهي." ويمكن وضع معادلة بلسيطة وهى:

روح + جسد = نفس

النفس تذوق الموت و لكن لا تموت.. فتذوقها الموت هو رحلة خروجها من البدن، و هي باقية بعد الموت، و عن وجود الأنفس قبل ميلاد أصحابها يقول الله: إنه أخذ الذرية من ظهور الآباء قبل أن تولد و أشهدها على ربوبيته حتى لا يتعلل أحد بأنه كفر لأنه وجد أباه على الكفر. كما أن الروح لا توسوس، و لا تشتهي و لا تهوى و لا تضجر و لا تمل و لا تتعذب، و لا تعاني هبوطا و لا انتكاسا. إنما تلك كلها من أحوال النفس و ليس الروح فهى قمة كمال اللطائف، فهى من روح الله. والدليل على ذلك نأتيه لك عزيزى القارئ من القرآن:

قول الملائكة في القرآن للمجرمين ساعة الموت:

"أخرجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون" (٩٣ – الأنعام).

" كل نفس ذائقة الموت" (١٨٥ – آل عمران).

"فطوعت له نفسه قتل أخيه" (٣٠ – المائدة)

"و لقد خلقنا الإنسان و نعلم ما توسوس به نفسه" (١٦ – ق)

"و نفس و ما سواها، فألهمها فجورها و تقواها" (٧، ٨ – الشمس)

"بل سولت لكم أنفسكم أمراً فصبر جميل" (١٨ – يوسف)

"و ضاقت عليهم أنفسهم و ظنوا ألا ملجأ من الله إلا إليه" (١١٨ – التوبة)

"إنما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا و تزهق أنفسهم" (٥٥ – التوبة)

"و من يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه" (١٣٠ – البقرة)

"و من يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون" (٩ – الحشر)

و أحضرت الأنفس الشح" (١٢٨ – النساء)

و ما أبرئ نفسي إن النفس لأمارة بالسوء" (٥٣ – يوسف)

"يأيتها النفس المطمئنة، ارجعي إلى ربك راضية مرضية، فادخلي في عبادي، و ادخلي جنتي" (٢٧ – ٣٠ الفجر)

"و من اهتدى فإنما يهتدي لنفسه" (١٥ – الإسراء)

"و ضاقت عليهم أنفسهم" (١١٨ – التوبة)

"و ما أبرئ نفسي" (٥٤ – يوسف)

و كذلك سولت لي نفسي" (٩٦ – طه)

النفس البشرية مكنون ليس من السهل أستجلاء مواطن الخفاء والتعقيد فى جوانبها المحيرة، ومازال الإنسان يدرس تراكيب هذه النفس من المعلومات التراكمية الإنسانية السابقة.

والنفس البشرية هى مردود لوجود الإنسان وتفاعله مع الروح الربانية. و النفس هي المُخاطبة والمُكلفة دوماً من الخالق، وهى التى سيقع عليها الثواب والعقاب. فلو أفترضنا أن الجسد المادى هو السيارة، فالأطارات تملؤها النفس أما السائق فهو العقل، فلابد أن يكون العجل مملؤاً بحجم معين من الهواء وإلا ستنقلب السيارة، ومهما كانت مهارة السائق فلابد من توازن السيارة (حجم الهواء وتوازن العجلة). أما الروح فهى الوقود الذى يحرك السيارة.

إن هذه النفس هى الصورة السالبة فى الكيان الإنسانى للروح فهى متعالية ومغرورة يحركها التعالى وحب السيطرة والبطش، والحقد والغضب حالها والشهوة سلطانها. فالشهوة شيء غير الحب بل أقل من الحب بكثير .. فهي رغبة النوع وليس رغبة الفرد .. إنها علاقة بين طبيعتين و ليست علاقة بين شخصين ..علاقة بين الذكورة والأنوثة .. والفرد لا يكتشف فيها نفسه ولكنه يكتشف نوعه و ذكورته .. والحب يحتوي على الشهوة ولكن الشهوة لا تحتوي عليه .. بالحب لا تكتشف فقط أنك ذكر .. ولكنك تكتشف أيضاً أنك فلان وأنك اخترت فلانة بالذات و لايمكن أن تستبدلها بأخرى.

وأحوال النفس غير مستقرة وشاردة وضالة الهوى. ولكن بأذن من الله يحدث تطابق بين الصورة الموجبة والصورة السالبة وهى النفس فينتج التقوى الحقة فى الكيان الإنسانى والتوحد فى محبة الخالق. والنفس أكثر أرتباطاً بالمادة البشرية الغير راقية أو الغير متعاونة مع العقل البشرى بل قد تتسلط عليه وتصل للتحكم به فيكون إنسان حقود غير خير، بل ويحب كل ما يخالف الفطرة. وقوة الضمير هى القوة الجاذبة ناحية النفس اللوامة (هى النفس المتصارعة بين الخير والشر فتارة تتلغب الطاعة على سلوكها وتارة يتغلب الجانب الآخر عليها، فهى فى صراع مستمر) أو النفس البصيرة (هى النفس التى أمتثلت لطاعة و أمر الله). ومع قوة الإيمان ترتقى سلالم الإيمان والمحبة فى الله لتصل للنفس المطمئنة (وهى النفس التى الفضيلة والمحبة مسلكها الدائم فترقى وتتسامى وهى التى أستوثقت من أمر الله فيها). والنفس المطمئنة داخل الذات الإنسانية هى دالة لإرتقاء الإنسان ليصل لمحبة خلق الله وطاعة الله وتوحده مع

المحبة المطلقة الإنسانية لتسود الروح مسلك المادة الفانية وتكون المادة تابعة مطيعة للروح بل وتذوب المادة فى الروح.

والنفس هي المتهمة في القرآن بالشح و الوسواس و الفجور و الطبيعة الأمارة، وللنفس في القرآن طرق وعروج، فهي يمكن أن تتزكى و تتطهر، فتوصف بأنها لوامة و ملهمة و مطمئنة و راضية و مرضية. و النفس محلها الصدر فالله يشرح الصدر للإيمان أو شرح بالكفر وليس العقل ولكن أقترن شرح الصدر بالنفس والإيمان والارتقاء والسمو أو بغضب الله. حيث أن النور إذا قذف في القلب انشرح له الصدر وانفسح والعكس بالعكس. القلوب القاسية مرتبطة بالنفس الغير مؤمنة و القلوب الرقيقة مرتبطة بالنفوس المؤمنة، وأبواب النفس السبعة هى:

١- الشهوة. ٢- الغضب. ٣- الكبر. ٤- الحرص. ٥- الحسد. ٦- البخل. ٧- الحقد. وأصل هذه الأبواب كلها و أخطرها و لبها الشهوة و الغضب و يتفرع منها الباقي. ومراتب النفس هى:

١- ***النفس الأمارة بالسوء***.

٢- ***النفس اللوامة***

٣- ***النفس المطمئنة***.

٤- ***النفس الراضية***

٥- ***النفس المرضية***

أما الروح في القرآن فتذكر دائما بدرجة عالية من التقديس و التنزيه و التشريف، و لا يذكر لها أحوال من عذاب أو هوى أو شهوة أو شوق أو تطهر أو تدنس أو رفعة أو هبوط أو ضجر أو ملل، و لا يذكر أنها تخرج من الجسد أو أنها تذوق الموت.. و لا تنسب إلى الإنسان و إنما تأتي دائما منسوبة إلى الله .

"فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا" (١٧ – مريم)

"فإذا سويته و نفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين" (٢٩ – الحجر).

"و أيدهم بروح منه" أي من الله (٢٢ – المجادلة)

"و كذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا" (٥٢ – الشورى) .

فالنفس الإلهية هي غيب الغيب، فالله ليس كمثله شيئ و هو مما لا يستطيع الإنسان أن يتخيل له شبيها و لا يصح أن نقيس النفس الإلهية على نفوسنا... فالنفس الإلهية لا تتشابه مع النفس الإنسانية إلا في اللفظ و لكنها شيء آخر البتة..

"و يحذركم الله نفسه" (٢٨ – آل عمران)

"تعلم ما في نفسي و لا أعلم ما في نفسك" (١١٦ – المائدة)

أما نصيبنا من الروح فهو النفخة، ما حدث من أمر التسوية و التصوير و النفخ في صورة آدم يعود فيتكرر في داخل الرحم في الحياة الجنينية لكل منا.. فيكون لكل منا تسوية و تصوير، ثم نفخة ربانية حتى تتهيأ الأنسجة و يستعد المحل لتلقي هذه النفخة، و ذلك يكون في الشهر الثالث من الحياة الجنينية، و ينتقل الخلق بهذه النفخة من حال إلى حال ..

"ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين" (١٤ –المؤمنون).

"ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين، ثم سواه و نفخ فيه من روحه و جعل لكم السمع والأبصار و الأفئدة" (٨، ٩ – السجدة).

نفهم من هذا أن السمع والبصر والفؤاد هي من ثمار هذه النفخة الروحية.. وإنه بهذه المواهب ينقل الإنسان من نشأة إلى نشأة ومن مستوى إلى مستوى، وهذا هو معنى .. إن

نصيبنا من هذه الروح إذن هو نصيبنا من هذه النفخة.. وكل منا يأخذ من هذه النفخة على قدر استعداده. و بفضل هذه النفخة يصبح للواحد منا خيال وضمير وقيم وعالم من المثل.. والجسد و الروح فينا أشبه بأرض الواقع و سماء المثال .

علاقة نفس كل منا بروحه و جسده هي أشبه بعلاقة ذرة الحديد بالمجال المغناطيسي ذي القطبين. والذي يحدث للنفس دائما هو حالة استقطاب، إما انجذاب و هبوط إلى الجسد، إلى حمأة الواقع وطين الغرائز والشهوات، وهذا هو ما يحدث للنفس الجسدانية الحيوانية حينما تشاكل الطين وتجانس التراب في كثافتها، وإما انجذاب وصعود إلى الروح، إلى سماوات المثال والقيم والأخلاق الربانية، وهو ما يحدث للنفس حينما تشاكل الروح و تجانسها في لطفها وشفافيتها.. والنفس طوال الحياة في حركة وتذبذب واستقطاب بين القطب الروحي والقطب الجسدي.. مرة تطغى عليها ناريتها و طينتها، ومرة تغلبها شفافيتها و طهارتها .

والجسد و الروح هما مجال الامتحان والابتلاء، فتبتلى النفس و تمتحن بهاتين القوتين الجاذبتين إلى أسفل و إلى أعلى لتخرج سرها، وتفصح عن حقيقتها و رتبتها و ليظهر خيرها وشرها . ومن هنا نفهم أن حقيقة الإنسان هي (نفسه)، والذي يولد و يبعث و يحاسب هو نفسه، و الذي يمتحن و يبتلى هو نفسه، و ما يجري عليه من الأحوال و الأحزان و الأشواق هي نفسه.. أما جسده وروحه فهما مجرد مجال تماما مثل الأرض والسماوات في كونهما مجال حركة بالنسبة للإنسان لإظهار مواهبه و ملكاته .. فكما أعطى الله لهذه النفس عضلات (جسدا) كذلك أعطاها روحا لتحيا، وتعمل وتكشف عن سرها ومكنونها و تباشر خيرها و شرها.

وبهذا المعنى تكون كلمة (تحضير الأرواح) كلمة خاطئة، فالأرواح لا تستحضر، ولا يمكن لأي روح أن تستحضر، لأن الروح نور منسوب إلى الله وحده، وهو ينفخ فينا هذا النور لنستنير به.. وهذا النور من الله وإلى الله يعود ولا يمكن حشره أو استحضاره.. أما ما يحشر ويستحضر فهي الأنفس و ليس الأرواح.. هذا إذا صح أن هؤلاء الناس يستحضرون أنفسا في

جلساتهم و أغلب الظن أن ما يحضر يكون من الجن المصاحب لهذه الأنفس في حياتها (القرناء)، و كل منا له في حياته قرين من الجن يصاحبه، و هو بحكم هذه الصحبة الطويلة يعرف أسراره و يستطيع أن يقلد صوته و إمضاءه، و هذا الجن هو الذي يلابس الوسيط في غرفة التحضير المظلمة، و يدهش الموجودين بما يحسبونه خوارق .

أما الأرواح فلا يمكن استحضارها. أما الأنفس فلا يحشرها و لا يحضرها إلا ربها. و النفس لا يمكن أن تتحول إلى روح، و إنما هي في أحسن أحوالها ترتقي حتى تشاكل الروح و تجانسها بقدر ما تتخلق بالأخلاق الربانية، و بقدر ما تقترب من المثال النوراني (الروح التي نفخها الله في الإنسان). كذلك يمكن لهذه النفس أن تتدنى و تهبط حتى تشاكل الشياطين، و تجانس إبليس في ناريته .

والنفس التي تتطهر و تتزكى حتى تشاكل و تجانس الروح في لطفها هي التي يقربها الله من عرشه يوم القيامة، لأنها بهذا التطهر و الترقي تصبح نفسا ربانية مكانها إلى جوار الله. و ما النفوس المظلمة التي تهبط إلى فجور وغلظة الدرك الشيطاني، سيكون أما مكانها مع النفوس النارية السفلية في قاع الظلمة والجحيم. أما الروح فلا مكان لها في جنة أو جحيم، و إنما هي نور من نور الله تنسب إليه، و هي منه و لايجري عليها ابتلاء ولا محاسبة و لا معاقبة و لا مكافأة.. وإنما هي المثل الأعلى.

النفس والطاقة

القشة في البحر يحركها التيار و الغصن على الشجرة تحركه الريح و الإنسان وحده .. هو الذي تحركه إرادته..فهو حينما يفطن إلى اتجاه الريح ..ويضع شراعه في مواجهته يمتطي الريح ويسخره لخدمته وحينما يفطن إلى أن الخشب أخف من الماء .. و يصنع مركباً من الخشب .. يمتطي الماء .. وبالمثل حينما يفطن إلى نفع الناس و يسير في اتجاههم .. يكسب الناس ويكسب معونتهم .. إن المجتمع يضغط على الفرد و على حريته .. و لكن العقل يستطيع دائماً أن يقلب هذا الضغط إلى مصلحة و منفعة و حرية .. بأن يكتشف ببصيرته

القوانين التي تربط الأشياء بعضها ببعض.

الطاقة هي القدرة على احداث فعل أو تأثير" و هذا التعريف أيضا لا يعرّف ماهية الطاقة على الإطلاق بل يقر صفة أو مظهراً من مظاهرها و هو القدرة على التأثير. و بجانب أشكال ظهور الطاقة المعروفة المختلفة كالحرارة و الحركة... الخ، هناك " تأثيرات" مختلفة يمكن أيضا أن تعرف كمظاهر أشكال للطاقة. أليست الإحساسات قادرة على إحداث تأثير مثلا؟ فأنا حينما أغضب ألا تتولد طاقة حرارية في جسدي كله؟ و يتولد عن هذا الغضب ارتفاع في ضغط الدم و نسبة السكر؟ وإذا فرحت برؤية إنسان أحبه، ألم يقر الطب التقليدي نفسه بعد إجراء التجارب و القياسات بأن هذا يتسبب في تغيرات تطرأ على وظائف أعضاء جسدي المختلفة ؟ وكذلك الأفكار سواء سلبية كانت أم ايجابية، أليست لها القدرة على إحداث تغيرات فسيولوجية؟ الصلاة و مختلف الطقوس الدينية، أليست قادرة على تحويل الطاقات الفكرية السلبية إلى أخرى ايجابية؟ أليست قادرة على الشفاء؟ ألا تبدل الحرارة المتولدة عن الأفكار والإحساسات السلبية بطاقة باردة لها تأثير مهدئ للجهاز العصبي؟ يجب أن تتسع كلمة طاقة لتشمل الطاقة الحيوية، الحسية، الفكرية، والروحية .

هكذا تظهر لنا صورة جديدة بحاجة الى فيزياء جديدة أيضا للتعامل معها. يقول لنا بعض علماء الفيزياء أن خلق هذا الكون بدأ بانفجار أولي كبير أسموه "البيج بانج"، نوع من الانفجار نتج من حالة عدم هاوء سبقت الانفجار وتولدت عنه طاقة، لم يخلقها هو لأننا نعلم في الفيزياء أن الطاقة لا تخلق من عدم و لا يمكن إعادتها إلى حالة عدم إذن فالطاقة لابد أنها كانت موجودة أصلا في حالة العدم هذه قبل بدء الكون، كانت صفة أو قدرة موجودة كامنة فيما نطلق عليه الآن كلمة العدم، فالطاقة اذن هي " شئ " عندما يكون كامناً نعرفه بأنه " لا شئ " ويصبح شيئاً فقط حينما تتحرك الطاقة تنتج عنها الحركة الأولية، الطاقة تتسبب في " الحركة الأولية ". الاختلاف الوحيد بين لا شئ وكل شئ هو الحركة ولكن ما هو هذا الشئ الذي يتحرك ؟ نحن لا نعلم. كل ما يمكن معرفته هو أن هذه الحركة تتسبب في خلق ثنائية

الأضداد، و أن هذه الحركة متوازنة و منتظمة بطريقة يمكن أن نطلق عليها " هندسية ". توازن يحول الأضداد إلى مكملات مما يعطي فرصة الخلق على جميع المستويات بما فيها المستوى المادي أيضا، هذه الحركة المنتظمة تخلق الزمان و المكان اللذان يظهران في مستويات مختلفة تبعا لقانون ومستوى الإدراك و جميع الصفات لا يمكن لها أن تتواجد الا في الزمان و المكان لأننا بحاجة إلى مضاداتها لندركها بها، كالنور ندركه فقط بالظلام و فوق ندركه بتنسيبه إلى تحت، وهكذا إذن لا يمكن لنا أبدا معرفة جوهر الطاقة الذي هو وراء الزمان والمكان. من خلال الصفات يمكن لنا أن نحاول كيفما شئنا و لكننا في النهاية سنظل دائما مع هذا السؤال الذي لا جواب له: ما هو جوهر الطاقة؟

فلسفة الموت

ليس هناك أغرب من الموت ..إنه حادث غريب ..أن يصبح الشيء .. لا شيء ...ثياب الحِداد .. و السرادق .. و الموسيقى .. و المباخر .. و الفراشون بملابسهم المسرحية و نحن كأننا نتفرج على رواية و لا نصدق .. و لا أحد يبدو عليه أنه يصدق .. لا أحد يبدو أنه يصدق أو يعبأ بالموت .. حتى الذي يحمل النعش على أكتافه .. الخشبة تغوص في لحم أكتافه .. و عقله سارح في اللحظة المقبلة و كيف يعيشها .. الموت لا يعني أحداً .. و إنما الحياة هي التي تعني الكل .. نكتة !! من الذي يموت إذن؟ الميت؟ و حتى هذا لا أحد يدري مصيره .. إن الجنازة لا تساوي إلا مقدار الدقائق القليلة التي تعطل فيها المرور و هي تعبر الشارع .. و هي عَطلة تتراكم فيها العربات على الجانبين .. كل عربة تنفخ في نفيرها في قلق .. لتؤكد مرة أخرى أنها تتعجل الوصول إلى هدفها .. و أنها لا تفهم .. هذا الشيء الذي اسمه الموت.

إن الغيب أساس الوجود والغيب أساس الحياة، كما أن الفراغ دالة المادة، والحركة دالة الزمن. فالروح دالة وجود الجسد الحى أو بمعنى آخر أن دالة حياة الجسد هو أتصاله بالروح.

فأساس أى شئ الغيب قبل الشهادة والعدم قبل الزمن. كما أن الموت دالة الحياة، ذلك أن الإنسان وجد فى حيوات غيبية متتالية فقد كان فى ظهر أبيه كغيب، ثم فى عالم النطفة ثم عالم المضغة، ثم عالم كمالة التكوين لمدة ٤٠ يوماً ليبدأ عالم اكتمال الخلق، وهنا هو بداية لكتابة اسم المولود فى عالم الحياة المشهو وفى نفس الوقت عالم الموت وهو عالم غيب مطلق حيرت العقول. والموت حق باعتباره أمر واقع لامحالة، فلا فرار من الموت ولانجاة منه، وهو سنة أوقعها الله على جميع أصناف خلقة فلا يبقى ألا وجهه الكريم، وكل شيء هالك إلا وجهه. إن الموت هو انطفاء بذرة الحياة الذي يعقب توقف الجسد عن أداء وظائفه الفسيولوجية، والموت على هذا حالة هو العدم، ومجرد اضمِحْلال وتوقف. و أن الموت مخلوق وأنه نعمة كالحياة، مع أن الموت في الظاهر انحلال وعدم وتفسّخ وانطفاء الحياة وهادم اللذات، فكيف يكون الموت مخلوقاً ونعمة؟ وللإجابة عن هذا التساؤل يجب أن نذكر عدة نقاط:

- الموت إنقاذ للإنسان من أعباء وظائف الحياة الدنيا ومن تكاليف المعيشة المثقلة. وهو باب وصال في الوقت نفسه مع تسعة وتسعين من الأحبة الأعزاء في عالم البرزخ، فهو إذن نعمة عظمى!
- إنه خروج من قضبان سجن الدنيا المظلم الضيق المضطرب، ودخول في رعاية المحبوب الباقي وفي كنف رحمته الواسعة، وهو تنعم بحياة فسيحة خالدة مستنيرة لا يزعجها خوف، ولا يكدّرها حزن ولا همّ.
- إن الشيخوخة وأمثالها من الأسباب الداعية لجعل الحياة صعبة ومرهقة، تبيّن مدى كون الموت نعمة تفوق نعمة الحياة. فلو تصورتَ أن أجدادك مع ما هم عليه من أحوال مؤلمة قابعون أمامك حالياً مع والديك اللذين بَلغا أَرذل العمر، لفهِمتَ مدى كون الحياة نقمة، والموت نعمة؛ بل يمكن إدراك مدى الرحمة في الموت ومدى الصعوبة في إدامة الحياة أيضاً بالتأمل في تلك الحشرات الجميلة العاشقة للأزاهير اللطيفة، عند اشتداد وطأة البرد القارس في الشتاء عليها.
- كما أن النوم راحة للإنسان ورحمة، ولاسيما للمبتلين والمرضى والجرحى، كذلك الموت –

الذي هو أخو النوم– رحمة ونعمة عظمى للمبتلين ببلايا يائسة قد تدفعهم إلى الانتحار.
إنّ القلب عبارة عن عضلة قوية إلى درجة مدهشة. وينبض القلب حوالي ٧٠ مرة في الدقيقة الواحدة. ويضخ في كل مرة ٥٩ سنتمترا مكعبا من الدم. وينبض القلب خلال ٧٠ عاما ٢,٥ مليار مرة يضخ خلايا ١٥٢ مليون لترا من الدم. وهذه الكمية تساوي ما يعادل ملء خزان الوقود لعشر طائرات من طراز بوينغ ٧٤٧ في كل عام. فماذا لو ترك لك هندسة وترتيب هذه الدقات القلبية؟ حيث يسع خزان الوقود لطائرة من طراز بوينغ ٧٤٧ كمية قدرها ٢١٧٠٠٠ لترا من الوقود، فأين أنت وكيف تتحكم فى هذه الكميات أيها الإنسان.

١-الموت الجسدى

الحديث عن الموت يتضجر منه كثير من الناس لأنهم يكرهون الموت فيكرهون الحديث عنه، ولكن الموت حتم على جميع الأحياء ولا مهرب لنا عنه سواء كرهناه أم لا وفيه يتبين مصيرنا النهائي. والشخص الميت دماغيا لا يستطيع التنفس لذلك نسبة الأكسجين في الدم تقل بشكل تدريجي وسريع مما يؤدي في النهاية إلى توقف القلب أيضا عن العمل بسبب قلة الأكسجين اللازم لعضلات القلب. فطبيا هناك تعريفان للموت:

الموت السريري **Clinical death** هو حالة الانعدام الفجائي لدوران الدم في الأوعية الدموية والتنفس والوعي. في أحيان قليلة يمكن بواسطة انعاش القلب والرئتين إحياء شخص ميت سريرياً. نقطة مهمة هنا وهي إذا لم يتم التدخل بسرعة في الإنعاش فإن الشخص سيدخل حالة الموت البيولوجي.

الموت البيولوجي **Biological Death** وأحيانا يسمى الموت الدماغي أيضا هو حالة انعدام وظائف الدماغ والنخاع الشوكي بشكل كامل ونهائي. وهذه الأعضاء الثلاثة المذكورة لن ترجع إليها وظائفها أبداً (على الأقل وفقا لمعلوماتنا العلمية والتقنية الحالية).

٢-مفهوم الموت الحقيقى

كل منا يحمل جثته فى ظاهرة فليس هناك أغرب من الموت كحالة أن يصبح الشيء

.. لا شيء .. حتى المشيعين الذين يسيرون خلف الميت لا يفكرون إلا في المشوار. وأولاد الميت لا يفكرون إلا في الميراث. والحانوتية لا يفكرون إلا في حسابهم. والمقرئون لا يفكرون إلا في أجورهم .. وكل واحد يبدو أنه قلق على وقته أو صحته أو فلوسه.. لأن الموت في حقيقته حياة. ولأنه لا يحتوي على مفاجأة .. ولأن الموت يحدث في داخلنا في كل لحظة حتى و نحن أحياء .. كل نقطة لعاب .. وكل دمعة .. وكل قطرة عرق .. فيها خلايا ميتة .. نشيعها إلى الخارج بدون احتفال .

ومن الخطأ أن يحاول الإنسان إثباتَ هذه المعارف الدقيقة للغاية بالعقل المجرد. فيجب أن نعرف أنه كما لا يمكن للعين أن تخبر عن مذاق الأشياء الحلوة، ولا يمكن للسان أن يرى الأشياءَ كذلك تماما لا يمكن للعقل وحدة أن يحلَّ عقدةَ تلك العلوم الأخروية التي لا تحصل إلا بالمكاشفات الربانية.

الموت إذن حدث دائب مستمر .. يعتري الإنسان وهو على قدميه و يعتري المجتمعات و هي في عنفوانها و هو في نسيج الإنسان .. في جسده .. وفي كل نبضة ينبضها قلبه مهما تدفقت بالصحة و العافية، وبالموت تكون الحياة .. وتأخذ شكلها الذي نحسه ونحياه .. لأن ما نحسه و نحياه هو المحصلة بين القوتين معاً .. الوجود و العدم و هما يتناوبان الإنسان شداً .. وجذبا. إذن ما السر في هذه الدهشة التي تصبينا حينما يقع أحدنا ميتاً. والموت فضيلة و خير بالنسبة للكون كله لأن به تكون الأشياء موجودة و تكون المخلوقات مضطربة بالشعور والحياة، و لكنه شر الرذائل بالنسبة للإنسان الفرد .. بالنسبة لك أنت .. و لي أنا .. لأنه ينفقنا كضرائب إنشاء و تعمير .. و يقدمنا قرابين على مذبح الوجود و نحن لا نفهم هذا النوع من القربان .. و لا نستطيع أن نفهمه لأنه قربان فظيع .. و تضحية معناها أن نموت و نهلك .

حينما نعيش حياتنا لا نضع اعتباراً للموت و نتصرف في كل لحظة دون أن نحسب حساباً للموت .. و ننظر إلى الموت كأنه اللامعقول .. فنحن في الواقع نفكر و نتصرف بهذه الأنا العميقة التي هي الروح و التي لا تعرف الموت بطبيعتها. فالموت بالنسبة للروح التي تعيش

خارج منطقة الزمن هو بالنسبة لها .. لا أكثر من تغيير ثوب .. لا أكثر من انتقال .. أما الموت كفناء وعدم فهو أمر لا تعرفه، فهي أبداً و دائماً كانت حالة حضور وشخوص .. إنها كانت دائماً هنا إنها الحضرة المستمرة التي لم ولا يطرأ عليها طارئ الزوال . وكل ما سوف يحدث لها بالموت .. أنها سوف تخلع الثوب الجسدي الترابي ..

وكما تقول الصوفية تلبس الثوب البرزخي .. ثم تخلع الثوب البرزخي لتلبس الثوب الملكوتي .. ثم تخلع الثوب الملكوتي لتلبس الثوب الجبروتي .. كادحة من درجة إلى درجة ارتفاعاً إلى خالقها .. كل روح ترتفع بقدر صفائها و شفافيتها و قدرتها على التحليق .. على حين تتهابط النفوس الكثيفة إلى ظلمات سحيقة و تنقضي عليها الآباد و هي تحاول الخلاص.

وأترك الصوفيين لمشاهداتهم حتى لا نضيع معهم في التيه، و ليس هدفي من هذه الدراسة عبور حاجز الموت لمعرفة ما وراءه ، فهذا طمع في غير مطمع و رغبة في مستحيل و يكفي أن أقف بالقارئ ليتأمل نفسه و يكشف ذاته العميقة الحاكمة الآمرة تلك التي أسميتها الروح .. و التي استدللت عليها بأبلغ دلالة .. بشعور الحضرة التي يشعر بها كل منا في داخل نفسه تلك الحضرة المستمرة التي لا يطرأ عليها طارئ الزوال و لا تهب عليها رياح التغيير وكأنها العين المفتوحة داخلها على الدوام.

ذلك الصحو الداخلي ذلك النور غير المرئي في نفوسنا و الذي نرى على ضوئه طريق الحق و نعرف طريق القبح من الجمال و الخير من الشر .. تلك العتبة إلى نرصد من فوقها حركة الزمن و ندرك مروره .. و نرى مرور الأشياء و ندرك حركتها .. تلك النقطة في داخل الدائرة .. المركز الذي تدور حوله أحداثنا الدنيوية الزمنية و هو شاخص في مكانه لا يتحرك و لا ينصرم له وجود .. الروح .. حقيقتنا المطلقة التي هي برغم ذلك لغز. فعالم الروح هو عالم المطلق أو اللطيفة النورانية وعالم المادة هو عالم الملموس والمحدود فطبيعة الجسد تراب الأرض وهو دالة الحياة الظاهرية.

الموت والغيب ولماذا؟

إذا كان النوم هو الميتة الصغرى فالموت له مراحل مختلفة تبتدئ بحشرجة الموت وتنتهى بإنفصال شبه كامل بين الروح والنفس والجسد ويأخذ كلاً منها وجهته فيذهب الجسد لدود الأرض ليحلله لمكوناته الأصلية مرة أخرى وهى أيضاً لها مراحل عديدة وإن لم تحدث بالسرعة المطلوبة تشم رائحة كريهة مثلاً. والروح تذهب لصاحب النفخة فى الجسد وهو الخالق أما النفس فيستمر أنفصالها عن الجسد لعدة مراحل تنتهى بعد أربعين يوماً، يكون خلالها هناك وعى بما حول المتوفى، ويقل تدريجياً مع مرور الوقت. والموت يعنى الاستمرارية الكلية للحيوات للنفس فهو خطوة فى طريق الدوام للنفس الإنسانية. فموت الثمرة وتحللها وخروج البذرة التى تنبت فى الأرض مرة أخرى هى استدامة للثمرة واكتمال لنموها من جديد. فالموت انتقال من الحياة الظاهرة المشهودة للحياة الغيبية، وحتى الجسد عندما يموت يدفن داخل الأرض ليتحلل إلى تراب ويرجع للأرض الأم حيث يكون مادة غنية لحياة أخرى. فالإنسان فى رحم أمه يخلق فى ظلمة ليكون صالحاً للحياة الأرضية بجميع مقوماتها، أما النفس بعد الموت فهى مرحلة نمو فى عالم ألطف من هذا العالم المشهود. ومن الغريب أننا نقوم بذلك يومياً فعندما يولد الطفل يؤذن وتقام الصلاة فى أذنيه بدون صلاة، وعندما يموت يصلى على الجثمان بدون إقامة وكأن كل هذا هو دوام للعبادة.

٣-الحاضر هو جثة الماضي

الموت في حقيقته حياة، ملايين الكرات الحمر تولد و تعيش و تموت في دمنا دون أن ندري عنها شيئاً، ومثلها الكرات البيضاء و خلايا اللحم و الدهن و الكبد و الأمعاء كلها خلايا قصيرة العمر تولد و تموت و يولد غيرها و يموت، وتدفن جثثها في الغدد أو تطرد في الإفرازات في هدوء و صمت دون أن نحس أن شيئاً ما قد يحدث. حتى الأفكار تولد و تورق وتزدهر في رؤوسنا ثم تذبل وتسقط، حتى العواطف تشتعل و تتوهج في قلوبنا ثم تبرد، حتى الشخصية كلها تحطم شرنقتها مرة بعد أخرى و تتحول من شكل إلى شكل. إننا معنوياً و أدبياً و مادياً نموت جزئياً ليولد جزء جديد كى تستمر الحياة تتطور بداخلنا. فالموت هو فى نسيج

الإنسان في جسده و في كل نبضة ينبضها قلبه، وفى كل شهيق وزفير، فلكى تستمر الحياة لابد أن يستمر الموت فتطور الإنسان الجسمانى والنفسى هو تصارع وتقابل بين لحظة وجود ولحظة عدم.

ما يحدث داخلنا من موت لا نراه لا نرى كرات الدم و هي تولد و تموت، لا نرى الخلايا و هي تحترق، لا نرى صراع الميكروبات و هي تقتلنا ونقتلها، وخلايانا لا ترى نفسها وهي تفنى، كل ما يحدث في داخلنا يحدث في الظلام.

والجسم الميت يبدأ تدريجيا بفقدان درجة الحرارة ويصبح الجسم بارداً ويتحلل تدريجيا بمرور الزمن وتنبعث منه أيضا رائحة كريهة.

متى بدأ الموت؟

ويعتقد أن الموت خلق منذ نزول آدم وحواء للأرض بسبب خطيئة آدم وحواء التي أدت إلى طردهما من عالم الخلد. فالموت أمر قبلي، خلقت الحياة وخلق الضد معها. و بالتالى فكل حياة يكمن الموت في جوفها. والموت في حقيقته تسريح وإنهاء لوظيفة الحياة الدنيا، وهو تبديل مكان وتحويل وجود، وهو دعوة إلى الحياة الباقية الخالدة ومقدمة لها؛ إذ كما أن مجيء الحياة إلى الدنيا هو بخلق وبتقدير إلهي، كذلك ذهابها من الدنيا هو أيضاً بخلق وتقدير وحكمة وتدبير إلهي؛ لأن موت أبسط الأحياء –وهو النبات- يُظهر لنا نظاماً دقيقاً وإبداعاً للخلق ما هو أعظم من الحياة نفسها وأنظم منها. فموت الأثمار والبذور والحبوب الذي يبدو ظاهراً تفسّخاً وتحللاً هو في الحقيقة عبارة عن عجن لتفاعلات كيمياوية متسلسلة في غاية الانتظام، وامتزاج لمقادير العناصر في غاية الدقة والميزان، وتركيب وتشكّل للذرات بعضها ببعض في غاية الحكمة والبصيرة، بحيث إن هذا الموت الذي لا يرى، وفيه هذا النظام الحكيم والدقة الرائعة، هو الذي يظهر بشكل حياة نامية للسنبل وللنبات الباسق المثمر. وهذا يعني أن موت البذرة هو مبدأ حياة النبات الجديدة، أزهاراً وأثماراً، بل هو بمثابة عين حياته الجديدة؛ فهذا الموت إذن مخلوق منتظم كالحياة .

وكذلك فإن ما يحدث في معدة الإنسان من موت لثمرات حية أو غذاء حيواني، هو في حقيقته بداية ومنشأ لصعود ذلك الغذاء في أجزاء الحياة الإنسانية الراقية. فذلك الموت إذن مخلوق أكثر انتظاماً من حياة تلك الأغذية. فلئن كان موت النبات –وهو في أدنى طبقات الحياة– مخلوقاً منتظماً بحكمة، فكيف بالموت الذي يصيب الإنسان وهو في أرقى طبقات الحياة؟ فلا شك أن موته هذا سيثمر حياة دائمة في عالم البرزخ، تماماً كالبذرة الموضوعة تحت التراب والتي تصبح بموتها نباتاً رائعاً في الجمال والحكمة في عالم الهواء".

فالموت بداية رحلة جديدة من الحياة تأتي بعد أن يسلم المرء الروح ليبدأ مرحلة حياتية أشرف وأسمى من تلك الحياة المرئية المألوفة. والموت بهذا هو قنطرة العبور وممر الخلوص إلى الحياة الألطف. ومصيرُ الإنسان في هذا أشبه ما يكون بمصير حبة القمح أو النواة التي تُودع الأرضَ وتغمر بالماء فيؤدي ذلك إلى تحولات كيميائية غير عشوائية تخضع لقانون صارم في التحول والتغير وهي مع ذلك تتبدى للناظرين مجرد حبة عفنة متفسخة، لكنها سرعان ما تنبثق عن فسيلة تحمل سنابل عديدة في كل سنبلة منها عشرات الحبات. وهذا التجلي اليانع ليس في الحقيقة إلا حياة جديدة للحبة الواحدة الواهنة المتمزقة في أحشاء الأرض، ولولا ذلك التفسخ والاضمحلال لما وجدت الحبة إلى هذه الحياة الأوفر طريقاً أو سبيلاً. وتفسخها الذي يُرى اضمحلالاً وتحللاً إن هو في واقعه إلا إشراقة جديدة للحياة.

وإذا كان هذا الانتقال يتم بهذه الكيفية وبهذا الانضباط التام لقوانين كيميائية صارمة، فمعنى ذلك أن هناك حركة قوية منضبطة يراها الناس اضمحلالاً وهي عمليات معقدة محكومة بسنة الله في الخلق؛ وحين تصير حبة القمح مئات الحبات، فإنها قد تصير غذاء للإنسان، فتخالط منه الدم والخلايا وتدخل في تركيبه وبنائه وتصير جزءاً من خلايا التفكير ومن الأعصاب فيه، فتنتقل إذن لتحيا مجدّداً في صورة أشرف بكثير من صورتها الأولى. وما كان لها أن تكون كذلك لولا ذلك الاضمحلال الظاهري الذي يُرى في أعين الناس فناءً وعدماً وهو في واقعه وجود جديد وتجلٍّ أبرز من الأول. إن صورة استعادة الحبة للحياة ليست في واقعها إلا صورة

مُقرِّبة لاستعادة الإنسان حياته بعد أن يموت فينتقل إلى وجود ليس الوجود الأول شيئاً بالنسبة إليه، ومفارقته الحياة الدنيا أمر ضروري ليُسَنْبِل حياة جديدة سالمة من كل منغصات الحياة الأولى.

هذا الموت عبارة عن تفاعلات منضبطة منسقة يَنتُج عنها استعادة الإنسان لوجوده مرة أخرى، وهذه التفاعلات ليست ولا شك إلا أمراً وجودياً. وتكمن أهمية هذا التحليل في أنه استطاع أن يعطي صورة غيرَ مُرعبة عن الموت، لأن الموت بهذا ليس فناء ولا اضمحلالاً ولا انسحاباً، وإنما هو مجرد تحول ونُقلة إلى الأكمل والأشرف. ولقد كان الخوف من الموت دائماً مرتبطاً بتصوره عدماً وفناء، فمن ثَم كان الإنسان أسير ذلك الخوف، يراه حرباً على الوجود الإنساني وهدماً لكينونته، فيكرهه ويتحاشى أسبابه حتى لو كانت جهاداً من أجل الحق ودفاعاً عن العقيدة ومواجهة للباطل. إن فلسفة الموت إعلان عن بقاء الإنسان واستمراره واتصال حياته الأخرى بالأولى، وهي رفض لفلسفة العدم والإلغاء والتشاؤم التي أشاعتها الفلسفات المادية التي حصرت حياة الإنسان في البعد الأول من رحلته، وأَوهَمَته أن الموت نهايته ودماره فتأزم لذلك.

الموت التي هي عتبة اليوم الآخر، وهو جزء من الغيب الذي يؤمن به كل مؤمن. التحليل الفلسفي للموت مفيد على المستوى النفسي لأنه يكسب المرء اطمئناناً وانسجاماً مع الذات وثقة بالحياة في بعدَيها الظاهر والباطن؛ كما أنه يهوّن من شأن الموت فلا يجعله ذلك الشبَح المرعب الذي يفني الإنسان ويدمره. ومثل هذا الإحساس لا يكسب الإنسان إلا شجاعة خاصة لمواجهة المشاق واقتحام الصعاب مادام الموت وهو أقصى ما يراد بالإنسان ليس في حقيقته إلا رحلة نحو حياة تقر النفس بها وتطمئن، لأن الدار الآخرة هي دار الحياة لو كانوا يعلمون. الموت ليس نهاية للحياة بل هو مجرد نقلة برزخية لحياة أخرى غير مشهودة، فالزمن بمفهومه الدنيوى ينقطع فيه الجسم المادى فقط أما النفس والروح فهى لا تتعامل مع هذا الزمن

فى الأساس وبالتالى لا يحدث انقطاع لمن لم يوصل.

فلسفة النوم

في ختام يوم من العمل المضني، ليس هنالك أفضل من الاستغراق في سبات عميق للتخلص من تعب النهار والاستعداد لصباح جديد مليء بالنشاط والحيوية. ولكن هل تقتصر فوائد النوم على الراحة الجسدية؟ وما علاقة النوم بالدماغ والذاكرة والقدرة على الإنتاج والإبداع؟ فيما ما مضى اعتبر القدماء أن النوم مضيعة للوقت ليس إلاّ، أما اليوم فقد أثبت العلم الحديث أن الدماغ يعمل خلال النوم خمسة أضعاف ما يعمله خلال الوعي. فتستمر الحياة على شكل وظائف فسيولوجية، دورة الدم تجري، النفس يتردد، الخلايا تفرز، الأمعاء تهضم، كل هذا يتم بطريقة تلقائية والجسد ممدد بلا حراك تماماً مثل نبات مغروس في الأرض تجري فيه العصارة و تنمو الخلايا و تتنفس من أكسجين الجو. إن سر الموت يكمن في لغز النوم لأن النوم هو نصف الطريق إلى الموت، أنها لحظة غريبة يسقط فيها الجسد في هوة التعب و العجز. و هذه اللحظة لحظة عميقة لأن العقل يخرج فيها من إطار ظروفه المكانيه والزمانية و يتحرر من الألفة و التعود والأحكام العادية و ينظر حوله من جديد ليصدر أحكاماً جديدة أكثر تحرراً و إلهاماً.

والنوم هو حالة طبيعة من اللاوعي الكامل التى يحتاجها الإنسان لاستكمال وظائفه الحيوية، فلو لم نكن ننام لفقدنا جزءا كبيرا من ذاكرتنا و لتعطلت عملية نمونا و لعجزنا عن أبسط المهمات. وعندما ينام الإنسان يرسل جذع الدماغ إشارات محبطة بواسطة هرمون السرتونين إلى الجهاز الشبكي المنشط **RAS**، وهو مركز الانتباه والتحفيز في الإنسان ونشاطه مهم للحفاظ على الوعي واليقظة. وعند وجود أي خلل به يصاب المرء بما يعرف بالغيبوبة خلال النوم يزداد تركيز هرمون الملاتونين في المخ (وهو الذي يساعدنا على مواصلة النوم) ليصل إلى أعلى تركيز له في آخر مراحل النوم. و عندما تشرق شمس الصباح يحفز الضوء

خلايا معينة في شبكية لترسل إشارات للمراكز في الدماغ لتحبط من إفراز الهرمون ويبدأ الإنسان فى الصحو.

وأثناء النوم يتم تصحيح وترميم ومساعدة على الشفاء، ويتم تركيب المواد الغذائية في المخ، ويرتاح الجسم من التعب، ويشعر بالراحة، ويزداد فيه إفراز هرمونات النمو، ويزداد إنتاج البروتين. النوم له أثر على حيوية ونضارة الوجه والجمال.. ونمر بمرحلة منه تسمى النوم العميق وهي تشكل ١٥% فقط من النوم الهادئ، (هذه ربما التي نسميها بالعامية سابع نومة). كما أن النوم الصحّي يعود على الإنسان بفوائد جمّة أبرزها تحسين قدرة الذاكرة، وتقوية جهاز المناعة، والمساعدة على النمو، وزيادة القدرة على الإنتاج والإبداع، إضافة إلى إراحة العضلات لا سيما عضلة القلب.

كما أن النوم يعطي القدرات العقلية للمبدعين، و القوة في التركيز، و يتعامل ويحلل ويتطور البرامج المخية من خلال كل المعطيات اليومية المرتبطة باللاوعى وربطها بالمتاح منها فى المخ من الأصل، وبالتالى تحدث كثير من حالات الأبداع أثناء النوم. و هنا نذكر أحلام المبدعين والمفكرين، فهناك الكثير مثل قانون "مالديف" في الرموز الكيميائية.. اكتشفه هذا العالم أثناء النوم، أيضا العديد من قصائد "أحمد شوقي" رآها في النوم، ينقل ذلك عن "أديسون" أيضا.. فهذه هي الأحلام الإبداعية. بالتأكيد تكون هذه الفكرة مسيطرة على ذهن المفكر أو العالم وتؤرقه، لكن عقله الواعي لا يجد لها حلا، أما عندما ينام المرء، فأحد وظائف هذا النوم أنه يرتب الأفكار ويصنفها، والأفكار التي ليس لها دور يلقي بها جانبا.. ففي حالة الصحو واليقظة لم يكن له قدرة على تصنيفها بشكلها السليم، لكن عقلك اللاواعي هو عقل ذكي جدا أذكى بكثير من عقلك الواعي والآن جاء دوره وهو الذي يستطيع أن يصل بهذه المعلومات إلى نتيجة سليمة.

والفرق بين شخص وآخر في وقت النوم هي مساحة الرؤيا التي تنكشف لكل واحد. فشخص لطيف يشبه جهاز تلفزيون به مليون صمام مساحة الرؤيا فيه شاسعة و قدرة

استقباله كبيرة فهو يستطيع أن يستقبل صوراً من المريخ على شاشة بانورامية عريضة لأنه مؤيد بوسائل إلهية. و الإنسان الآخر هو جهاز ترانزيستور صغير يسمح له باستقبال ترددات محددة، لإنها ستمسك بالذات الدنيوية من مال وسلطة، ولكن الاثنين يسبحان في بحر الحقائق كلاً لما يسر له من الخالق.

كان الشاعر الروماني "أوفيد" يسمي النوم "الموت المزيف" الذي يعيش في كهف على شواطئ نهر (ليثي)، بينما كانت بعض الفلسفات مثل الفلسفة الهندية القديمة المعروفة بـ "الأوبانيشاوز" تعتبر النوم العميق الهادئ حالة تعبر عما يمكن أن نسميه السلام الكامل مع النفس والعالم فإن فكرة النوم استخدمت أيضًا كرمز على الغفلة وفتور الهمة والجهل.

والنوم عملية مركبة شديدة التعقيد رغم أنها لا تبدو هكذا في ظاهرها فأسلوب النوم في أغلب الأحوال يعتبر نتاجًا للتقاليد والأعراف الاجتماعية، ففي شمال أوروبا ووسطها وشمال أمريكا على سبيل المثال يندر أن تجد الراشدين من العاملين يأوون إلى القيلولة، بينما تجد هذا أمرًا شائعًا في بلاد البحر المتوسط وفي أجزاء كثيرة من أمريكا الوسطى والجنوبية، ومن شأن عادة القيلولة أنها تتيح للناس في البلاد الجنوبية تجنب أشد الأوقات حرارة من اليوم ليقضوه في النوم، ثم ليعودوا من بعد ذلك إلى العمل والاستمتاع.

وهناك اعتقاد أن كل مرحلة من النوم متخصصة في تحليل نوعية معينة من المعلومات، ولذا فإن الفروق الحادة بين مرحلة حركة العين السريعة ونوم الموجة البطيئة وغيرها من المراحل تزداد أهمية. فبينما أدوية علاج مشاكل النوم المطروحة في الأسواق تعمل على تأكيد النوم، إلا أنها لا تزيد نوم الموجات البطيئة. هناك رباعية مشهورة للخيام يقول فيها :

فما أطال النوم عمرًا وما قصَّر في الأعمار طول السهر

وعلمياً يجب أن نعرّف أن النوم له مراحله المختلفة. فالنوم هو حالة من اللاوعي يقسم إلى خمس مراحل أولها النعاس، ثم النوم السطحي، فالنوم العميق، يليه النوم العميق جداً، ثم مرحلة الأحلام.

النوم يساعد على التكيّف

النوم يعد نوعًا من التكيف الإنسانى الداخلى وفترة ترتيب لكل مكتسبات اليوم الداخلية والخارجية بصورة متناسقة مع سابقتها من المكتسبات المتاحة، و بذلك يحدث تعاظم لما هو متاح من موجودات ومكتسبات من البيانات. والإنسان أثناء النوم يستهلك قدراً أقل من الطاقة عندما تنخفض معدلات التمثيل الغذائي عنده، وكذلك معدلات تبدد الحرارة وضياعها من الجسم وهكذا يمكن أن تنظر إلى خمول وسكون ظاهرى بالرغم من وجود نشاطات داخلية خاصة فى الرأس بصورة ملحوظة.

النوم والزمن

السياق الزمني في النوم غريب، إنه زمن آخر غير زمن الساعة فالحلم قد يحتوي على أحداث سنة كاملة بتفاصيلها من حب إلى زواج إلى طلاق إلى جريمة ومع هذا لايستغرق بحساب الساعة أكثر من ثانية. والعكس يحدث أحيانا فتمر على النائم عشر ساعات وفي ظنه أن عقرب الساعة لم يتحرك إلا دقائق معدودة. الزمن يتخلص من قيود الساعة أثناء النوم ويخضع لتقدير آخر هو تقدير المخيلة التي توسع وتضيق فيه على حسب ازدحامها بالحوادث والرغبات. إن الزمن أثناء النوم من صناعة النائم فهو شخصى و محدود، كالفنان الذي يؤلف قصة ذات تسلسل زمنى يتسارع ويتباطأ حسب المؤلف. ومعظم أحلامنا عبث في عبث وأمنيات مستحيلة ولكننا نعيشها كما نريدها ونحن نائمون.

والنوم حالة سكون لصور الحياة من حيث أن مقدار السكر والأكسجين الذي يحتاجه النائم ليستمر في الحياة أقل بكثير من المقدار الذي يحتاجه في اليقظة. والإنسان الذي يعيش مائة سنة بين نوم ويقظة يستطيع أن يعيش ثلاثمائة سنة إذا عمل على حسابه أن ينامها كلها. ولكنه صورة مهمة للحياة باليقظة فتصور شخصاً لم ينم ٧٢ ساعة كيف يكون معدل تركيزه وتفكيره وأدراكه السوى؟ فالنوم وظيفة اعادة الإدارك وترتيب الأفكار وكذا الاتصال

بالعوالم الخارجية الألطف وقد تكون العوالم النورانية حسب ارتقاء النفس البشرية فى هذه العوالم اللطيفة.

وعندما ينام الإنسان ينتهي إحساسه بانسياب الزمن وينتهي تفاعله مع تغير عناصر المكان فبعد مرور فترة من نومه يأخذ الجسم حاجته الكاملة من الراحة، و بعد أن يفيق من نومه لا يمكنه تقدير الزمن الذي مر عليه أثناء هذا النوم سواءً كان ساعة أم عام، وفي هذا أكبر دليل على أن في تلك الفترة الإنسان يكون مادة مغيبة الإدراك الواعى الخارجى وتكون مادة الجسد خارج حدود الزمان والمكان. فمادية الإنسان غير مدركة لما هو محيط بها من زمكان. فالنوم هو ابن الموت إلا أن النوم هو تجربة حياتية ندخل ونخرج منها لعالمنا ولفترات قصيرة، أما الموت فهو تجربة كونية فى اتجاه محدد بالنسبة لمادة الإنسان المغيبة الإدراك وتنتهى بفناء المادة الإنسانية وتحولها لمادة كونية.

وبالتالي فجوهر النوم هو انفصال الإدراك الواعى للمادة الإنسانية بصورة نسبية عن البيئة الخارجية. فالنسيج الإنسانى المكون من الروح والنفس والجسد بالإضافة للأجسام الطاقية للجسد الإنسانى تكون فى حالة تحرر ولكن بصورة مرتبطة وفى إطار كونى محدد. الإنسان يرى داخلياً الأحلام وتتحرك العين بسرعات متفاوتة حسب درجات وعمق النوم، ويكون هناك نشاط كبير بالمخ فقط دون بقية الجهاز العصبى، بالإضافة لحركة القلب والرئة وبعض حركات التقلب أثناء النوم ولكن بإدراك داخلى، بمعنى أنه أثناء النوم يكون إنفصال للأدراك الخارجى فقط أما الأدراك الداخلى والوظائف الحيوية تستمر. ويمكن تقريب ذلك بمثال الكومبيوتر أثناء عمل تنظيم لملفاته من خلال أمر "دى فراج **Defrag**" لاتحس أنت أمام الكومبيوتر بما يحدث داخل القرص الصلب لجهازك ولكنك تعلم بوجود عمل مضن يقوم به الجهاز لترتيب هذه الملفات.

والإنسان يحدث له تغييب أثناء النوم وهذا رحمة من الخالق وهذا لعدم قدرة الإنسان على استيعاب العمليات التى تتم من خلال نبضات طاقية، وتواترات مع الطاقة الكونية

واللطائف المحيطة. فالإنسان وهو نائم هو كائن أجتماعى لطيف على المستوى الكونى. فالإنسان لا يحيط بسرعة الأرض الذى يعيش عليها ولا يستطيع أن يسمع كل الترددات الصوتية أو يرى كل الطاقات والترددات الضوئية.

والثبات النسبى للحركة الظاهرية للجسدالإنسانى أثناء النوم أدى لتوقف الإحساس بالزمن الخارجى ولكن دون حدوث خلل للساعة البيولوجية الخاصة بالإنسان. وبالتالى يمكن تلخيص حالة النوم ظاهرياً بانفصال الإدراك الواعى للمكان والزمان الخارجى فقط. والنفس أثناء النوم على الرغم من وجودها خارج الجسد فإنها تعود إلى الجسد فور تعرضه لمؤثر خارجي كافٍ لعودتها، وبعد هذه العودة تحس بالعالم خارج الجسد، أما إذا كان المؤثر الخارجي غير كافٍ لعودتها فإننا لا نحس بها إطلاقاً. و لذلك نرى أنه حين يخضع الإنسان للتخدير الجراحي لا يحس إطلاقاً بالألم على الرغم من تعرض جسده للعمل الجراحي، وسبب ذلك دخولنا فى ثبات عميق. وعندما يفيق من هذا التخدير بعد زوال تأثير مادة التخدير، يكون الجسد الإنسانى فى حالة الإحساس بالألم.

الدليل على أن النفس جوهر غير مادي، وتحس باللذة والألم في هذا العالم المادي عبر مادة الجسد، هو أننا أثناء أحلامنا في النوم نحس باللذة و الألم على الرغم من أن الجسد لم يتعرض لأي مؤثر مادي يؤدي إلى تلك الأحاسيس. إن النفس في المنام ترى دون آلية العين الضوئية، وتسمع دون آلية السمع الأذنية وتمارس كل أحاسيسها دون آليات الجسد الحسية، ودون تأثير العالم المادي المحيط بأجسادنا. إذن الجسد بحياته ونبضه وحركة مكوناته الداخلية، ليس أكثر من وعاءٍ للنفس التي تنتمي لعالمٍ غير مادي، والجسد يعمل بأمر هذه النفس ويستجيب لشهواتها ورغباتها، وبالمقابل فإن النفس عندما تحل بهذا الجسد تصبح محكومة في إطار المكان والزمان الذي ينتمي إليه الجسد، فحركتنا في هذه الحياة تتكون من وجهين متمايزين:

١–حركة لا شعورية ترتبط بحياة الجسد من حركة للقلب وغيره من أعضاء الجسم، وهذه

الحركة لا علاقة للنفس بها، بدليل بقاء هذه الحركة مستمرة أثناء النوم.

٢–حركة إرادية تقوم بها النفس عبر الجسد.

وأفضل تشبيهٍ للعلاقة بين النفس والجسد، هو العلاقة بين السائل والوعاء الذي يُوضع به هذا السائل، فالسائل هو الذي يعطي الوعاء الوظيفة التي صُنع من أجلها، والوعاء هو الذي يحجز السائل داخل جدرانه ويمنعه من الانفلات، ويفرض عليه شكل سطحه الداخلي. وما يؤكد أن النفس جوهر غير مادي، وأن الجسد ليس أكثر من وعاء لها، هو أنه بتطور العلوم الطبية أصبح من الممكن نقل الأعضاء من إنسانٍ لآخر، واستبدال بعض الأعضاء كالقلب والكلى بأجهزة من صناعة البشر وعلى الرغم من ذلك لا يتبدل الإنسان كنفسٍ عاقلة مدركة نتيجة استبدال بعض أعضائه إذن النفس هي القوة العاقلة المدركة التي تقف وراء استقرار الإنسان وتعقله وشهوته.

وكما تؤكد الديانات السماوية فإن النفس هى من تُحاسب يوم القيامة، لأنها هى المكلفة في الحياة الدنيا من بين جميع المخلوقات المحسوسة في هذه الدنيا. وورود كلمة النفس في النص التالي بالصيغة المطلقة التي تشمل كل نفس دليل على أن النفس خاصة بالإنسان من بين المخلوقات الأخرى المحسوسة في هذا الكون. و لما كانت النفس والأدراك الواعى الداخلى منه والخارجى خاص بالإنسان من بين المخلوقات المحسوسة، فإن العقل مسألة خاصة بالإنسان من بين هذه المخلوقات، لأن قوة التعقل والأدراك والتدبر ترتبط ارتباطاً كاملاً بالجانب المجرد للنفس ولذلك فعدم تعقل الإنسان يجعله كالأنعام.

وفرقت الديانات السماوية بين الإرادة والأدراك الواعى كقوة مجردة تنبع من النفس المجردة عن المادة، وبين المشيئة كقوة مادية ساحتها عالم الوجود المكاني والزماني، نتيجة تنفيذ الإرادة في هذا العالم الحسي. وبما أن العالم المجرد الذي تنتمي إليه النفس المجردة، لا يقبل المتناقضات للمسألة الواحدة ، فإن الإرادة كقوة تنبع من هذه النفس المجردة بجميع صيغها بحيث لا تحمل المتناقضات للمسألة الواحدة، فمثلا لا توجد عبارة قرآنية واحدة ترد

فيها مشتقات الإرادة بحيث يتم عطف مسألتين متناقضتين على هذه الإرادة.

ظاهرة السقوط أثناء النوم

كم منا قد جرب الشعور بالسقوط من مكان مرتفع عند بدء الدخول في النوم واستيقظ بعد ذلك على وقع اهتزاز جسمه ليجد نفسه يرقد في فراشه، وكل ما حوله ساكن؟ لا بد أن الجميع قد مر بهذه التجربة وتساءل حينها، ماذا حدث لي خلال النوم وهل كنت أحلم أم أن هناك أمراً غير طبيعي حدث في جسمي وسبب لي ذلك الإحساس؟ هذه ظاهرة معروفة لدى المختصين في طب النوم، وتعرف باهتزازات بداية النوم، وهي عبارة عن انتفاضة لا إرادية تحدث عند الانتقال من اليقظة إلى النوم ويشعر خلالها الشخص بأنه سقط، ويصاحبها حركة مفاجئة في الجسم قد يشعر بها الشخص الذي يشارك المصاب في السرير.

وهذه الحركة لا تحدث في مرحلة الأحلام ولكن تحدث عند الانتقال من الاستيقاظ إلى المرحلة الأولى من النوم وهي المرحلة الانتقالية التي يمر بها النائم قبل التقدم إلى مراحل النوم المتقدمة، وهي مرحلة بين النوم واليقظة. وتسبب الاهتزازات التي تصاحب الشعور بالسقوط الاستيقاظ من النوم مصحوبا بشعور من الفزع اللحظي يدرك بعده الشخص أنه ربما كان يحلم! وعادة لا يجد الشخص صعوبة في العودة مرة أخرى للنوم.

نظريات حول الظاهرة الحركة أثناء النوم

ولا يعرف السبب الحقيقي لهذا الظاهرة، ولكن هناك عدة نظريات منها أن هذه الظاهرة ناتجة عن الارتخاء الطبيعي لعضلات الجسم أثناء الدخول في النوم، مما قد يفسره المخ عند بدء النوم على أنه نوع من السقوط. وتزداد هذه الظاهرة عند الأشخاص المنهكين أو الذين حرموا من النوم لساعات طويلة، أي الأشخاص المنهكين الذين يحاولون مقاومة النوم. أي أنها قد تحدث بصورة أكبر لمن بقي صاحيا لمدة ٢٤ ساعة أو أكثر. كما أنها تزداد عند النوم في أوضاع غير مناسبة مثل النوم جالسا. وتحدث هذه الظاهرة مرة او مرتين

في الليلة ولكنها عند الأغلبية تحدث على فترات متباعدة، ويبدو أن هذه الظاهرة تصيب جميع الفئات العمرية بلا استثناء وتعتبر ظاهرة حميدة ولا تحتاج لأي علاج، وينصح الذين يعانون من تكرر المشكلة بالبعد عن الإجهاد والسهر.

الروحانيات ومركزها في الإنسان

الروحانيات عادة ما تتحرك في الإنسان بالفكر والتركيز العالي في تحكم الروحانيات. والإنسان الروحاني بوسعه أن يعرف ما يدور بمشاعر الأشخاص المحيطة حوله وأفكارهم وذلك لا يستطيع الجن أن يعرفه، والدليل على عدم معرفة الجن ما بداخل الإنسان أنه حينما مات سيدنا سليمان لم يعرف الجن بموته إلا بعد أن أكلت القارضة العصا. إن الإنسان المؤمن يستطيع بنورية إيمانه العالية رفع قدراته الحسية المادية مثل قدرته على رؤية أشياء لاتراها العين العادية، أو سماع ترددات لا تسمعها الأذن العادية. ولا يشترط الإنسان أن يكون متابعا نوعا معينا من العبادة أو يسلك سلوك غير مشروع، فكل هذه الأساليب تنمى الروحانية حسب ما يسلك الإنسان، أن يكون عابدا فتكون روحانيته شفافة وطاهرة أو يكون غير ذلك في سلوكه. وقد ذكرنا أن الإنسان بطبيعته روحاني ولكن شخص تظهر علية هذه الروحانية وشخص لا تظهر عليه ومن الممكن أن ينمى أي شخص روحانيته بتدريبات معينة، وإذا تقرب الإنسان إلى العبادة فسوف تعلق روحانيته بروحانية الملائكة كما ذكرنا في أول الأمر، أما إذا بعد عن ذلك فسوف يسير معه الشيطان ويشعره بأنه هو الذي يمن عليه بكل هذا العلم ويوجهه إلى الخير حتى يصدقه وبعد ذلك يوجهه إلى الشرور والمعاصي حتى يكفر ولا يستطيع الإنسان أن يرجع عما هو فيه لأنه يشبع رغبته بكل شئ موجود حوله .والغيب يلف الإنسان من قبل ولادته فإين كانت روحه قبل الولادة وحياة الدنيا وحياة ما بعد الانتقال؟

الأحلام وعلاقتها بالتخيل

الحلم لغة إنسانية عالمية، لكنها مع ذلك لغة ذاتية إلى أبعد الحدود. فمن الصعب

جدًا على الحالم أن يعيد صياغة حلمه بدقة وبذاتية رؤيته له. فالحلم لغة باطنة، أي إنه ليس لغة تعبيرية قاصرة على نقل معلومات معينة، بل لغة تفعيلية شكل جملها ورموزها أفعال وتحولات على مستوى النفس الإنسانية. وعندما نفك رموز الأحلام اعتمادًا على معارفنا الحالية، نجد أنفسنا أمام عملية نفسانية معقدة تسبر أغوار النفس وتحولاتها الديناميكية وتعيد مجمل العناصر الحلمية إلى شخصية الحالم. فالإنسان الكفيف منذ الولادة لا يستطيع أن يصف لك أى شىء حوله لأنه لم يره فى حياته، ولكن الكفيف الذى أصيب وهو كبير يستطيع أن يصف لك ما يسمعه فعندما يسمع صوت طائرة يمكنه وصف الطائرة وهى تتخلل عباب السماء فهو تخيل لصور من الذاكرة، أى أنه يستطيع أن يتخيل.

وكذلك الإنسان الذى يحلم لا يستطيع أن يتخيل بصورة واضحة فالأحلام هى صورة مباشرة للتمرين على التخيل الواضح. فأنت عزيزى القارئ عندما تحلم أنك على شفا الوقوع تشعر بالخوف بالرغم من أنك نائم، فالحلم تتداخل فيه الصورة والشعور وبعض الإدراك الواعى بالمعانى والأحاسيس "الخوف، الراحة والسكينة". فعند نوم الإنسان يكون هناك جسم موازى لوضع وحالة الجسم المادى النائم فى صورة واعية، وقد يكون هناك جسم نجمى وهو جسم لطيف يمكنه التجول والخروج والرجوع للجسم المادى أثناء النوم أو أثناء شبه النوم، وهى يعتمد على مدى شفافية الشخص وطاقة الإيجابية. فالشخص ذو الوعى الحقى اللطيف تكون له مراكز طاقية مفتوحة تدله على طاقات حيوية متنوعة والتى يمكن من خلالها خروج الجسم النجمى بطاقات نورانية تجوب جنبات كون الخالق.

الطريق إلى النور

المحبة ..... نعم المحبة. فالمحبة فى الله ولله بها يتميز الخلان، وعليها مدار الصِّدق والإيمان، فكل محبة وتعظيم للبشر فإنما تجوز تبعًا لمحبة الله وتعظيمه، فمحبة الأنبياء والمرسلين هي من تمام محبةِ مُرسلهم وتعظيمه، وكذلك محبة الوالدين، والزوجة والأبناء

والأهل، والأصحاب والخلان. المحبة هي من كمال التوحيد، وتمام الإخلاص. وللمحبة العديد من الأوجه. فالعطاء لعباد الله هو محبة، وأعطاء النصح إذا طلب محبة، والمساعدة فى الخير محبة، والاستغفار للمسلمين محبة، والتجاوز عن أخطاء الآخرين فيك محبة.

التأليف بين قلوب الناس لا يمكن أن يكون إلا بالحب، وهو النعمة التي تضئ بها صدورهم، بل و ترتحل إليها إراداتهم، فالتقت جميعها على أمر قد قُدِّر لها؛ وهو اتحاد القلوب على محبة الله وطاعته.فأرواح أهل الإيمان تهيم بحثًا عن أقرانها، والعكس بالعكس. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: الأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ، فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا ائْتَلَفَ، وَمَا تَنَاكَرَ مِنْهَا اخْتَلَف. فالطباع جمّاعة، والنفوس جوّالة؛ تبحث عن أقرانها ونظرائها. فسبيل الإيمان والطريق إلى محبة الله؛ هو الحب في الله .

ونحن في زمان أضحى الحب فيه سلعةً تُباعُ وتشترى، وليت الثمن الذي يدفعه الشّاري للبائع يزيد من قيمتها إذا قلّت في السوق كغيرها من السِّلع، بل لقد أقدم على سَوْمِها الفقيرُ المُعْدَمُ، أما البائع فقد سَئمها لقلة من يسومها أو يطلبها، وأما الشاري فقد اغتنى عنها بأحسن منها عنده، لقد صار البغض هو الأحب والأقرب إليه! فالأحسنُ والأحبُّ إليه ما يُجْرِي إليه نفعًا! أو يُصلِحُ له شأنًا! في غير تحرُّرٍ من شبهةٍ ولا تعفُّفٍ عن حَرَامٍ ولا اعتبار لقيم أو أخلاق. ولقد كانت كلمةُ الْحُبِّ يهتز لها الوجدان، وتتحرك لها الأركان، وتدمع لها العينان، أما الآن! فأصبحت كلمة سهلة على كُلِّ لسان؛ بل هي بضاعة تنفق من كل مفلسٍ خسران، حتى أصبح وقعها لا يحرك ساكنًا، ولا يطرب الآذان.

إن العبودية لله، تحرر الإنسان من أن يكون عبداً لغيره بل تكمن بها الحرية الإنسان. والمتابعة والإقتداء هنا، هو بالمنهج، والوسيلة للارتقاء. لا يصح في أي أمرٍ أرضي دنيوي حياتي، أن تُطلق فيه عباراتٌ مجردة غير محددة. لا يصح أن نتخذ ألفاظاً رنانة، ويخشى الناس أن يقفوا أمامها، مثل الدين، بأن ينسب إنسانٌ إلى نفسه، أن مفهومه هو دين الله، دون أن يحدد ما هو مفهومه، وكيف يطبق هذا المفهوم على أرض الواقع. هل كل كلمةٍ يقولها، هي الدين؟

هل كل كلمةٍ ينطق بها، هي الدين؟ إن أي إنسانٍ عاقل، يخشى أن يقول أنه يتكلم باسم الدين.

علينا أن نُكبر الدين كمفهومٍ حقيّ، فوق أي مفهومٍ أرضيّ. إن الدين، هو أن يراعي الإنسان ضميره، وأن يحترم عقله، وأن يحترم عقل غيره، وأن يقبل آراء الآخرين، إنه ممارسةٌ خاصةٌ بالإنسان. هذا الإنسان، الذي يراعي ربه، والذي يتعامل مع ربه، والذي يقرأ كتاب ربه – لن يقول أبداً، إني أحكم باسم الدين، أو أن ما أرى هو الدين، لأنه يخشى أن يكون مخطئاً، فكيف ينسب شيئاً إلى الدين، ليس فيه؟

فنحن في حاجةٍ إلى هذا التجمع، الذي يجمع كل إنسانٍ، بقدراته وعلمه ومعرفته، لنعرف كيف نُقوّم حياتنا، وكيف نسن قوانيننا، بوعيٍ عميق لآيات الله لنا، وسنة نبيه في أرضنا. علينا أن نتخلص من هذه الصورة، التي نعتقد فيها، أن كل من اتخذ لقب عالمٍ في الدين، يستطيع أن يفعل كل هذه الأمور، هذا ليس صحيحاً، وعلينا أيضاً، ألا نقف أمام الصورة، التي نخاطب بها أي إنسان، ونقول له: أنت لست عالماً في الدين، فلا يحق لك أن تتكلم في أمرٍ. إنما علينا أن نقيس الأمور بما يُقال، وأن تُقارَع الحجة بالحجة. إذا كان إنسانٌ غير مطلعٍ على قضيةٍ ما، أو على حديثٍ ما، أو على آيةٍ ما، أو على سببٍ ما . أياً كان . أن نزوده به، وأن نعطيه له، وأن نتكامل جميعاً، داعين إلى الأفضل والأحسن والأقوم.